



بداية يجب الحذر من بعض التحليلات التي تفرق بين موافق الإصلاحيين والمحافظين الإيرانيين من البرنامج النووي ومن الصفة في العلاقة مع الغرب. إن افتتاح إيران وتأمرها مع الغرب، ليس مؤامرة ضد العرب، لأنها لا تعترف بهم أساسا، بل أن إيران تسعى إلى تحقيق أكبر قدر من المكاسب، وتعظيم هذه المكاسب، وتحويل التهديدات القادمة من الإقليم إلى فرص. في إطار التفاهم أخرج إيران بمكاسب تفوق شرعة جميع النشاطات النووية الإيرانية: قانونياً، سياسياً، تقنياً وفنياً، متجاوزة ذلك إلى مكاسب سياسية وإستراتيجية كبيرة.

حالة اصطدام ودعم إيراني داخلي غير مسبوق:

يجب الملاحظة أولاً حالة التوحد والاصطدام سواء للتيارات أوللقوى حتى التي وقفت ضد روحاني في الانتخابات، والحرس الثوري، ورجال الدين والساسة الأقوياء ذubo النفوذ، لدعم الاتفاق النووي، حيث هنا خامنئي على "نجاح" المفاوضين الإيرانيين، وشكر روحاني على هذه الصفة، استراتيجية خامنئي للتعامل مع المفاوضات النووية قبيل الوصول لإطار التفاهم، خلالها، بعدها، فالمرشد الأعلى آية الله علي خامنئي، ظل صامتاً بشأن الاتفاق؛ إلا أن بعض المحافظين المتشددين أعربوا عن غضبهم تجاه هذه الصفة. كذلك يجب إدراك أنه بدون موافقة القائد، لا يمكن للفريق الإيراني الموافقة على الاتفاق الإطاري في لوزان، وليس هناك انقسام بين صناع القرار بشأن هذا الاتفاق. أن خامنئي أظهر بعض المرونة عندما يجدد إيمانه بفريق التفاوض بقيادة وزير الخارجية محمد جواد ظريف، وواصل خامنئي دعم الفريق الإيراني، ويندد بأمريكا في أول ظهور له. وقد لمح المرشد أنه لا يزال يدعم المفاوضات النووية للنهاية. وسيكون من الصعب على المحافظين المتشددين انتقاد الصفة إذا واصل خامنئي دعمه للمحادثات، حتى الوصول للاتفاق النهائي. وقد أعلن خامنئي بعد الوصول لإطار التفاهم أنه لا يثق بالغرب، وأنه يجب ممارسة سياسة الانتظار، وعدم الافتراض بالتفاؤل، ثم أعلن صراحة أنه ليس مع أو ضد الاتفاق.

في تقديرنا أن أهداف خامنئي المبطنة من خلال ذلك هي:

النقطة الأولى: أن روحاني سوف يحظى بدعم خامنئي طالما أن قوة الرئيس المتزايدة لا تهدد خامنئي.

النقطة الثانية: أن خامنئي لا يسمح لأحد بلعب دور البطولة على مسرح السياسة الإيرانية، وأن هناك بطل واحد هو الذي يمتلك الفيتو " المرشد، رهبر "، ونزل الشارع للتظاهر وهم يهتفون "روحاني، ظريف أنتما أبطالنا". رسالة وصلت جيدا

النقطة الثالثة: إن الفشل في التوصل إلى اتفاق إطاري بين إيران والقوى الست الكبرى، قد يزعزع الاستقرار الداخلي لإيران، وهو ما يدرك خامنئي أبعاده فعلاً، نتيجة تداعيات العقوبات الدولية على الشعب الإيراني. سيظل التحدي الأكبر في تحفيز الشعب الإيراني إذا فشل المفاوضون في التوصل إلى اتفاق نهائي، ليس فقط المرشد، ولكن النظام كله قد يتعرض للخطر في هذه الحالة. الآن، الناس لديهم توقعات وسقوف عالية.

النقطة الرابعة: إن الفشل في التوصل إلى اتفاق إطاري بين إيران والقوى الست الكبرى سوف يضع عود النظام برمته بالاصلاح والانفتاح للخارج على المحك. إن الدعم الشعبي لهذه الصفقة يمكن أن يتحول إلى سلاح ذي حدين لخامنئي ولروحاني وللنظام برمته، مما يفجر الوضع الداخلي الإيراني، مع الضغوط الاقتصادية والاجتماعية. وهذا أمر يصعب احتواوه. لذلك لا يريد المرشد الافراط في التفاؤل، ورفع السقف.

النقطة الخامسة: المؤسسات الثورية والأمنية التي يديرها المرشد، تتحسب من المفاجآت ودخول متغيرات خارجية "إقليمية، دولية" على خط التفاهم لإفشاله. وهناك قناعة إيرانية، أن دول مجلس التعاون الخليجي؛ لا سيما السعودية تسير بهذا الاتجاه.

النقطة السادسة: التطورات الإقليمية تسير بخطى متسرعة.

وهناك سيناريوهين يرتبطان بإيران، والوصول للتفاهم النهائي مع الغرب المقرر في حزيران من هذا العام:

السيناريو غير المبشر لإيران: أن تصل «عاصفة الحزم» إلى تحقيق نتائجها النهائية وإعادة الشرعية إلى اليمن، وهو ما سيجعل الطرف الإيراني ضعيفاً وعاجزاً أمام الغرب، وسحب ورقة إقليمية مهمة من يد المفاوض النووي الإيراني، وأن هناك طرفاً عربياً خليجياً، مثل بالمملكة العربية السعودية، يثبت أنه موجود ورقم مهمٌ في معادلة التوازن الإقليمي، وأن إيران لن تستطيع أن تقود الإقليم، وأن بيدها وحدها مفاتيح الحل والعقد.

أما السيناريو المبشر لإيران: فيتمثل بتخلي السعودية والدول المشتركة في «عاصفة الحزم» عن المضي في العملية إلى غاية تحقيق أهدافها الكاملة، وهو ما سيعطي إشارة إلى صدق الرواية الإيرانية، وأن الدور السعودي انتهى، مما يمهد المجال لإيران لتصدر القيادة الإقليمية العظمى للإقليم، ويدعم أوراقها التفاوضية مع الغرب، للوصول للتسوية النهائية والصفقة الشاملة، والاتفاق النهائي المجال النووي، ويتتيح لها المجال الأرحب نحو المزيد من التدخل.

* **النقطة السادسة:** الحفاظ على سلطة خامنئي الخاصة وقوة المؤسسة أولوية قصوى لخامنئي. روحاني سيكون كبش فداء لخامنئي إذا فشل هذا الاتفاق بشكله النهائي.

المكاسب التي حققتها إيران:

يمكن القول أن المكاسب التي حققتها إيران تمثلت بالتالي:

* احتفظت ببرنامجه الصاروخي والقضاءي.

* عرض لطبيعة البرنامج النووي الإيراني النشأة، التطور، المخاطر.

* سيسهم الاتفاق إلى استمرار إيران بسياسة الغش والخداع.

* أن عدد أجهزة الطرد المركزي التي سوف تشغله إيران لتخصيب اليورانيوم قد خُفضت من 19.000 جهاز إلى 5.000 فقط. وإيران ستظل تشغل 5.000 جهاز، وإنه لم يُطلب منها تدمير البقية.

* التفاهم غير قابل للديمومة. المقوله الأميركيه ضبط احتمال ظهور إيران نووية مستقبلاً لمدة عقد أو نحو ذلك. إذا هي مسألة وقت، وتبشرنا إيران بقبلتها.

الفرضية الأميركيه: ويمكن أن يقوى الاتفاق أولئك الذين يدفعون في الداخل الإيراني من أجل تحصيل المزيد من الحريات، وتعديل سياسات النظام، ثم الاطاحة به. والمراده على ميخائيل غورباتشوف أفضت إلى إحداث تغيير في الاتحاد السوفيتي. وروحاني من خلال الاتفاق سيسمهم في احداث برويستروكيا في إيران. وتتنازل نهايأ عن طموحاتها النووية.

* السيادة على أنشطتها النووية وتأمينها لبرنامجها مبكراً. وهذا ما يظهر أساساً في مؤشرين؛ أولهما التخصيب، الادارة، الاشراف على جميع مفاعلاتها وانشطتها، وإدارة مصانع انتاج أجهزة الطرد، والمؤشر الثاني هو عدم قبولها بتفكيك مفاعلاتها، تم تحويل بعض نشاطات بعض المفاعلات، وعلى نفقة الدول الغربية نفسها، وتقنيات متقدمة جداً، لم تكن تحلم بها.

الجيش والحرس يدخلان على خط المفاوضات النووية:

في سابقة جديدة، دخل الجيش الإيراني على خط سير المفاوضات النووية، وبقوة هذه المرة على خلاف عادته، حيث كان الحرس الثوري هو الذي يتولى القيام بهذا الدور. حيث دعا مساعد رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الإيرانية العميد مسعود جزائي إلى "الاهتمام بالمصالح الوطنية الإيرانية في عملية المفاوضات والتفاهم من قبل الأطراف الأخرى" ووجه رسالته هذه المرة للولايات المتحدة الأمريكية، معلناً عدم قبول الجيش الإيراني بأي اتفاق لا ينسجم مع المصالح القومية الإيرانية "[ii]" وقال إننا نقول أميركا بأن القوات المسلحة للجمهورية الإسلامية الإيرانية لن تقبل بأي اتفاق غير مبدئي".

وبالمقابل دعا علي أكبر ولايتي، وزير خارجية إيران الأسبق ومستشار مرشد الثورة، الولايات المتحدة إلى التفاوض مباشرة مع إيران، دون أي وسيط، وأشار أن المفاوضات الثانية هي الكفيلة بحل المشاكل بين الطرفين"[iii]"، لكن كيف يمكن فهم هذه التصريحات المتضاربة.

في واقع الأمر تعكس وجود خطابين، للوهلة الأولى يبدو متناقضين، الأول موجه للاستهلاك الداخلي؛ ومفاده التزام الجيش بالحفاظ على مبادئ الثورة، وعدم التفريط بها، من خلال المفاوضات النووية، وهي رسالة موجهة لإرضاء القوى الداخلية؛ ممثلة بالتيار المحافظ، والمؤسسة العسكرية، أحد أذرع مؤسسات الثورة الصلبة.

وفي نفس الوقت يخدم الرئيس روحاني في مفاوضاته مع مجموعة خمسة زائد واحد؛ لإظهار حجم التحديات والضغوط الداخلية التي يواجهها؛ وبالتالي على الغرب أن يقتتنص هذه الفرصة. في حين تمثل تصريحات ولايتي، لسان حال خامنئي، إعلاناً فريداً من نوعه؛ فهو يطالب بـمفاوضات مباشرة مع واشنطن، ليس فقط على البرنامج النووي، بل على كل الملفات العالقة بين الطرفين، وبالتالي ستكون على أساس تحقيق الصفة الشاملة مع واشنطن، لتحقيق أكبر قدر من المكاسب، وإنها حالة العداء "الظاهري" التي استمرت أكثر من ثلاثة حقوقاً. مع ذلك ستبقى جماهير الثورة - مدفوعة الأجر - التي غيّبتها الشعارات البراقة تتصدح ليل نهار بـسيمفونية "مرک بر أمريكا" الموت لأمريكا، دون أن تدرك أن هذه المعزوفة، قد اندثرت منذ زمن بعيد، وإكرام الميت دفنه، فبدأت تطرح شعار "الموت للوهابية" "الموت للكفيريين" "الموت لداعش" [iv]

إيران تتوعّد.. التفاهم مع إيران... وإنـا:

تقول طهران أن أمام الغرب فرصة تاريخية كبيرة قد لا تحصل ثانية لذلك، وعليه أن يفكر ملياً، ويتعامل بشفافية ومنطقية حتى تصل الأمور إلى نهاياتها السعيدة. وتتوعد إيران قائلة "نقول للجميع لقد جربتم إيران الإسلامية خلال أكثر من ثلاثة عقود وبالغتم في العقوبات لدرجة وصفتموه بأنه سيشن إيران لكن رأيتم العكس تماماً، وإذا أردتم أن تجربوا حظكم العاشر ثانية ستجدون أن إيران ستسرع من خطواتها دون الالتفات اليكم، وعندما ستلتمسونها للعودة إلى طاولة المفاوضات مع تسديد باهظ للفوایر السابقة والحالية والمستقبلية".^[٧]

وتتوعد إيران بأن المفاوضات النووية الحساسة والبالغة التعقيد والتي يوليهَا العالم أهمية خاصة، هي الآن في الدقيقة التسعين، لذلك يجب أن تكون كل الأطراف مستعدة نفسياً لوضع اللمسات الأخيرة التي تعتبر حيادية وحيوية لها، وإلا على كل من يحاول أن يمدد المفاوضات من الدول تحمل تبعات ونتائج ما يجري ".^[٨]

حلقة التشكيك بالمؤسسات الدولية: الوكالة الدولية للطاقة الذرية تتأمر على إيران

تدعي إيران بأن تحركات رئيس الوكالة الدولية الذرية امانو، الذي حضر قاعة المفاوضات بصورة مفاجئة واجتمع بوزير الخارجية الأمريكي، باتت تثير الكثير من التساؤلات من حيث أهداف هذا التحرك. في الوقت الذي تعتبر فيه طهران الوكالة الدولية للطاقة الذرية مؤسسة فنية تقنية، وليس لها جهة سياسية، وأن عملها يتلخص في إطار مساعدة الدول للتوصيل للتقنية النووية، والعمل على الحد من انتشار الأسلحة النووية.

نشاهد أن هذه الوظائف لم يتم العمل بها في إطار هذه المؤسسة. ولا يوجد هناك أي مبرر لأن يقوم امانو بالتوجه إلى مقر المفاوضات بين إيران ومجموعة ١+٥، وأن هذا الحضور لا يمكن أن يشكل علامه ايجابية للمؤسسة الدولية في مقابل الحقوق الإيرانية النووية. فالوكالة الدولية للطاقة الذرية - حسب رؤية طهران - إذا ما كانت صادقة في ادعائاتها عليها أن تكسر سكوتها وتعلن صراحة حقيقة التحركات الغربية المعادية لإيران و برنامجهما النووي، وعلى السيد امانو أن يعلم بأن تحركاته وادعاءاته المزيفة بشأن دعمه لحقوق الأعضاء في الوكالة لن تنتهي على أحد. وأن إيران تتحرك وفقاً لمصالحها وشروطها، ولا يمكن لإيران أن تتراجع عن حقوقها، ومصالحها القومية.^[٩]

فرنسا والرجعية العربية وراء تخريب المفاوضات، وطهران تؤكد واشنطن معنا:

في الوقت الذي تصل المهلة القانونية للمفاوضات مع مجموعة ١+٥ إلى نهايتها، وأن بعض الأطراف لاتزال تصر على طرح موضوع تمديد المفاوضات لأشهر قادمة، في الوقت الذي لن يخدم هذا التمديد -حسب رؤية الإيرانيين- أي طرف خصوصاً أمريكا والحزب الديمقراطي الذي يعتبر تمديد أمد المفاوضات خطراً على مستقبل الحزب خاصة في الانتخابات الرئاسية الأمريكية القادمة، وفي ضوء هذه المعطيات فإن الجانبين يؤكdan على ضرورة حل القضية في المدة المتبقية وأن تمديد أمد المفاوضات لا طائل من ورائها، خصوصاً أن الرأي العام الإيراني يؤكد هو الآخر على أن الحصار يجب أن لا يستمر أكثر من هذا بسبب تبعاته المضرة لاقتصاد إيران، وعلى هذا الأساس يجب أن ينتهي ماراثون المفاوضات، وإنما تقرر أن تتمدد مدة المفاوضات فإن التمديد - حسب رؤية طهران- يجب أن لا يتجاوز عدة أيام أو أسبوع على أكثر التقديرات ريثما يتم التوصل لصيغة المسودة النهائية.

تمديد المفاوضات مرة ثانية لستة أشهر أخرى ستصاحبه مشاكل كثيرة وجديدة. وتعلل إيران أن سبب فكرة التمديد تطرحها بعض الدول كفرنسا التي تسعى للتقارب من الصهاينة والرجعية العربية لخدمة مصالحها الاقتصادية، وتصل إلىقناعة بأن الفريق الإيراني وحتى الفريق الأمريكي المفاوضون توصلوا إلى قناعة تامة بضرورة حل القضية في أسرع وقت،

التفاهم الأميركي – الإيراني عنوانه الأساس: إيران شريكة وواشنطن في إدارة الفوضى الخلاقة في المنطقة

إن ما يجعل هذا التفاهم غير مقبول لدول المنطقة، خصوصاً الخليجية منها، هو أن تتحول إيران إلى دولة تزداد هيمنة ونفوذ، لأنها ستزداد إيماناً بأنها تؤمن بصناعة الدمار، وهندسة الفوضى وفق رؤية مذهبية مقيته، وبعقلية التمدد المذهبي الإمبراطوري والرؤية الجيوسياسية المنبثقة عنها التي تُفْتَن نسيج الدولة الوطنية في المنطقة، لكن هذه المرة بخطاء دولي من جانب القوى الكبرى التي تخلت عن مسؤولياتها بمنع إستمرار الدور الإيراني الصراعي والتخربي من خلال مداخل الأزمات الإقليمية، والذي لم يكن شرطاً مسبقاً للتفاهم مع إيران، ولرفع العقوبات عنها. كما لم تقدم إيران ضماناتٍ شفافية كاملة ومستمرة في برنامجها النووي؛ فأي شفافية ناقصة أو مرحلية ستُبقي على البرنامج النووي الإيراني ورقةً متساوية وتفاوض؛ ومن المؤكد أن واشنطن قد حصلت على ضمانات لاستمرار تدفق النفط والغاز، وحصلت على ضمانات إيرانية لأمن إسرائيل، وتأكدت من أن تكون طهران الثورة إحدى أهم القوى الفاعلة والرائدة بالاستمرار في المشاركة بالفوضى الخلاقة القائمة على التدخل والتخريب في المنطقة، والذي تبنته واشنطن منذ عهد إدارة بوش الابن، وأن طهران باتت أهم الشركاء لما يعرف بالحملة الدولية لمواجهة الإرهاب.

إدارة أوباما باتت تعتبر بالمقابل أن أمن دول الخليج العربية تحصيل حاصل، وهو ما أكدته مقررات كامب ديفيد الأخيرة. بالتأكيد دلالات الصفقة الأميركيـة – الإيرانية ذات منحى ومغزى خطير، وحتماً سيكون له انعكاسات جيوسياسية خطيرة على أمن دول الخليج العربية أولاً، وعلى الأمن الإقليمي برمته، خصوصاً أن هناك غطاء ومظلة أميريكية داعمة ومؤيدة لإيران بكل ما تقوم به من تحرّب على طول الخارطة الجغرافية للإقليم.

المراجع:

[i] (رئيس وحدة الدراسات الإيرانية، مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية)

[ii] (روزنامه کیهان، 12 / 5/2015)

[iii] (روزنامه جمهوری اسلامی، 3/5/2015)

[iv] (روزنامه سیاست روز، 5 / 20 / 2015. روزنامه قدس، 1 / 6 / 2015. روزنامه جام جم، 3 / 6 / 2015)

[v] (روزنامه سیاست روز، 2/7/2015)

[vi] (روزنامه اطلاعات، 4/7/2016)

[vii] (روزنامه همشهری 5/7/2015)

[viii] (روزنامه ابتکار، 1/7/2015)

المصادر: